أبو الهـــول

يحْتُو مُنْذُ الْقِدَمِ ، بِجِوَارِ أَهْرَامِ الْجِيزَةِ ، أَبُو الْهَوْلِ الْعَظِيمُ ، وَهُوَ تِمْثَالٌ ضَخْمٌ ، مَنْحُوتٌ فِي الصَّخْرِ ، يُمَثِّلُ جِسْمَ أَسَدٍ رَابِضٍ ، بَاسِطٍ ذِرَاعَيْهِ الْكَبِيرَتَيْنِ ، لَهُ رَأْسُ إِنْسَانٍ ، يَمْلُوهُ غِطَاءُ الرَّأْسِ الْمَلَكِيُّ الْمُزَيَّنُ بِالصِّلِّ (الثُّعْبَانِ) ، الَّذِي يُعْتَبَرُ رَمْزًا لِلْمَلَكِيَّةِ ، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْأُفُقِ نَظْرَةَ عَاقِلٍ مُدَبِّرٍ ، وَعَلَى فَمِهِ ابْتِسَامَةٌ سَاحِرَةٌ غَامِضَةٌ .

وَالْمَعْرُوفُ عَنْ هٰذَا التِّمْثَالِ أَنَّهُ يَشْغَلُ جُزْءًا مِنْ مِنْطَقَةٍ كَانَتْ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ مَحْجَرًا ، اسْتُعْمِلَتْ أَحْجَارُهُ فِي بِنَاءِ الْهَرَمِ الْأَكْبَرِ ، وَالْمَصَاطِبِ الَّتِي بِقُرْبِهِ ، وَكَانَ أَبُو الْهَوْلِ كُتْلَةً عَظِيمَةً مِنَ الْحَجَرِ الْجِيرِيِّ الضَّارِبِ إِلَى الصُّفْرَةِ ، تَرَكَهَا الْعُمَّالُ فِي أَثْنَاءِ عَمَلِيَّةِ قَطْعِ الْأَحْجَارِ ، لَمَّا وَجَدُوا أَنَّ مَادَّتَهَا لَا تَصْلُحُ لِأَعْمَالِ الْبِنَاءِ . وَيَظْهَرُ أَنَّ تِلْكَ الْكُتْلَةَ لَفَتَتْ نَظَرَ الْمَلِكِ خَفْرَعَ فِي أَثْنَاءِ بِنَاءِ هَرَمِهِ ، فَنَبَتَتْ عِنْدَهُ فِكْرَةُ تَشْكِيلِهَا بِهٰذِهِ الصُّورَةِ الْمُدْهِشَةِ ، رَمْزًا لِلْإِلٰهِ (الشَّمْسِ) ، وَجُعِلَ الرَّأْسُ بِصُورَةِ رَأْسِ الْمَلِكِ نَفْسِهِ (الْمَلِكِ خَفْرَعَ بَانِي الْهَرَمِ الثَّانِي) دَلَالَةً عَلَى الْحِكْمَةِ ، وَجُعِلَ بَاقِي التِّمْثَالِ بِصُورَةِ جِسْمِ أَسَدٍ دَلَالَةً عَلَى الْقُوَّةِ .

وَقَدْ قَامَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ بِقِيَاسِ بَعْضِ أَجْزَاءِ التِّمْثَالِ فَوَجَدَ أَنَّ ارْتِفَاعَهُ مِنْ قَاعِدَتِهِ إِلَى تَاجِ الرَّأْسِ نَحْوُ ٦٦ قَدَمًا وَطُولُهُ ٢٤٠ قَدَمًا ، أَمَّا طُولُ الْأُذُنِ فَيَبْلُغُ ٤ ½ أَقْدَامٍ ، وَالْأَنْفُ ٥ أَقْدَامٍ و٧ بُوصَاتٍ ، وَالْفَمُ ٧ أَقْدَامٍ و٧ بُوصَاتٍ وَطُولُ الْوَجْهِ ١٣ قَدَمًا و٨ بُوصَاتٍ .

وَلَقَدْ مَرَّتْ عَلَى أَبِي الْهَوْلِ أَجْيَالٌ مُتَعَاقِبَةٌ ، حَمَلَتْ فِي طَيَّاتِهَا مُخْتَلِفَ الْحَوَادِثِ وَالتَّقَلُّبَاتِ ، وَأَبُو الْهَوْلِ رَابِضٌ فِي مَكَانِهِ لَا تَتَغَيَّرُ نَظْرَتُهُ الْبَعِيدَةُ وَلَا ابْتِسَامَتُهُ الْغَامِضَةُ ، وَهَبَّتْ عَلَيْهِ مِرَارًا رِيَاحُ الصَّحْرَاءِ الشَّدِيدَةِ ، تَحْمِلُ الرِّمَالَ مَعَهَا ، فَإِذَا مَرَّتْ بِهِ ، تَسَاقَطَتْ هٰذِهِ الرِّمَالُ

حَوْلَهُ ، وَتَرَاكَمَتْ عَلَى جَوَانِبِهِ ، حَتَّى كَادَتْ تَطْمُرُهُ كُلَّهُ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافِ سَنَةٍ ، فَلَمْ يَكُنْ يَظْهَرُ مِنْهُ سِوَى جُزْءٍ صَغِيرٍ مِنَ الرَّأْسِ .

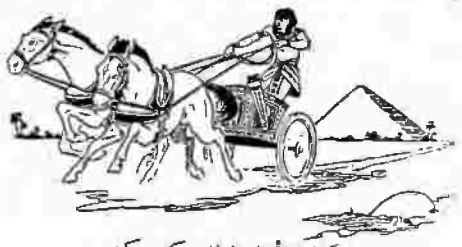

كان في أوقات فراغه يركب مركبه

وَكَانَ فِي مِصْرَ فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ أَمِيرٌ جَمِيلُ الطَّلْعَةِ اسْمُهُ تُحْتُمْسُ ، ابْنُ أَمْنُحُتْبَ الثَّانِي ، فِرْعَوْنِ مِصْرَ ، وَكَانَ الْأَمِيرُ يُلَازِمُ أَبَاهُ فِرْعَوْنَ فِي كُلِّ غَدَوَاتِهِ وَرَوْحَاتِهِ ، فَإِذَا سَارَ فِرْعَوْنُ فِي مَرْكَبِهِ الْمُذَهَّبِ ، مُخْتَرِقًا شَوَارِعَ الْمَدِينَةِ ، كَانَ تُحْتُمْسُ رَاكِبًا بِجِوَارِهِ ، وَكُلَّمَا أَقَامَ فِرْعَوْنُ حَفْلًا أَوْ وَلِيمَةً ، كَانَ تُحْتُمْسُ فِي الصَّدْرِ بِجَانِبِهِ ، وَذٰلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ ابْنَ الْمَلِكِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ نَسْلٍ مَلَكِيٍّ كَامِلٍ ، لِأَنَّ وَالِدَتَهُ لَمْ تَكُنْ مِصْرِيَّةً ، وَكَانَ نِظَامُ الْعَرْشِ يَقْضِي بِأَنْ يَكُونَ وَلِيُّ الْعَهْدِ مِنْ أَبَوَيْنِ مِصْرِيَّيْنِ ، وَكَانَ لِتُحْتُمْسَ أَخٌ أَكْبَرُ مِنْهُ ، هُوَ وَلِيُّ الْعَهْدِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِتُحْتُمْسَ حَقٌّ فِي ارْتِقَاءِ الْعَرْشِ ، وَلَا أَمَلَ لَهُ فِيهِ ، وَلِذَا لَمْ يَشْغَلْ وَقْتَهُ فِي دِرَاسَةِ طَرَائِقِ الْحُكْمِ كَمَا يَفْعَلُ أَوْلِيَاءُ الْعَهْدِ بَلْ كَانَ فِي وَقْتِ فَرَاغِهِ يَرْكَبُ مَرْكَبَهُ ، يَجُرُّهُ جَوَادَانِ أَصِيلَانِ ، وَيَخْرُجُ إِلَى الصَّحْرَاءِ ، يَجُولُ فِي أَنْحَائِهَا ، حَيْثُ يَصِيدُ الْحَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةَ ، فَيَقْضِي فِي الصَّيْدِ وَالْقَنَصِ أَيَّامًا عِدَّةً ، يُرَافِقُهُ خَادِمَانِ أَمِينَانِ ، ثُمَّ يَعُودُ فَلَا يَعْرِفُ أَحَدٌ ، غَيْرُ خَادِمَيْهِ ، أَيْنَ كَانَ . وَالصَّيْدُ رِيَاضَةٌ كَانَ يُحِبُّهَا الْمُلُوكُ وَالْأُمَرَاءُ وَالْأَعْيَانُ مِنْ قُدَمَاءِ الْمِصْرِيِّينَ ، فَيَصِيدُونَ ابْنَ آوَى وَالْغِزْلَانَ وَالْأُسُودَ وَالْخَنَازِيرَ الْبَرِّيَّةَ وَالتَّمَاسِيحَ وَغَيْرَهَا ، عَلَى شَوَاطِئِ النِّيلِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْمُدُنِ .

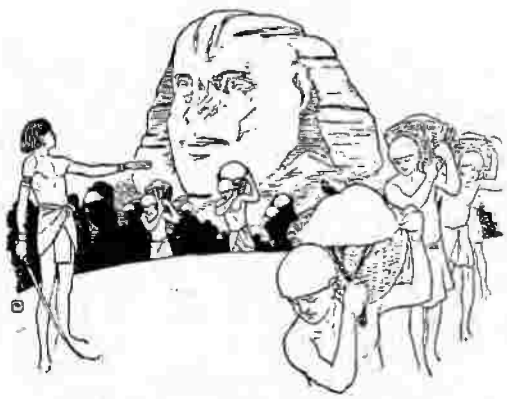

وظل يراقب العمال وهم يزيلون الرمال من حول التمثال

وَسَمِعَ تُحْتُمْسُ يَوْمًا أَنَّ بَعْضَ الْمُسَافِرِينَ رَأَوْا فِي الصَّحْرَاءِ ، بِالْقُرْبِ مِنَ الْهَرَمِ الْأَكْبَرِ ، غَزَالًا كَبِيرًا ، فَصَمَّمَ عَلَى الْبَحْثِ عَنْهُ وَصَيْدِهِ ،

وَإِهْدَاءِ جِلْدِهِ إِلَى فِرْعَوْنَ وَالِدِهِ ، ثُمَّ نَادَى خَادِمَيْهِ وَقَالَ لَهُمَا : « غَداً ، عِنْدَ مَا يُشْرِقُ الإِلٰهُ الشَّمْسُ عَلَى الأَرْضِ ، جَهِّزَا خَيْلِي الَّتِي تَسْبِقُ الرِّيَاحَ ، لأَرْكَبَ إِلَى الصَّحْرَاءِ ، وَأَصِيدَ الْغَزَالَ » . فَانْحَنَى الْخَادِمَانِ احْتِرَاماً .

وَفِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ ، رَكِبَ تُحْتُمْسُ مَرْكَبَهُ ، وَخَرَجَ مِنْ قَصْرِهِ إِلَى الصَّحْرَاءِ ، وَوَرَاءَهُ خَادِمَاهُ الأَمِينَانِ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى الصَّحْرَاءِ ذَهَبَ الْخَادِمَانِ يَبْحَثَانِ عَنْ آثَارِ الْغَزَالِ . وَفِي خِلَالِ ذٰلِكَ ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ شَيْئاً فَشَيْئاً حَتَّى تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ ، فَأَخَذَ تُحْتُمْسُ يَبْحَثُ عَنْ مَكَانٍ يَحْتَمِي فِيهِ مِنْ حَرَارَةِ الشَّمْسِ الْمُحْرِقَةِ ، فَلَمْ يَجِدْ سِوَى صَخْرَةٍ بَارِزَةٍ جَلَسَ فِي ظِلِّهَا ، وَأَثَّرَ فِيهِ هُدُوءُ الْمَكَانِ وَسُكُونُ الصَّحْرَاءِ وَغَلَبَهُ النَّوْمُ فَنَامَ . وَكَانَ الْوَقْتُ حِينَئِذٍ ظُهْراً ، وَكَانَتْ سَاعَةُ الظُّهْرِ عِنْدَ قُدَمَاءِ الْمِصْرِيِّينَ مُقَدَّسَةً . وَفِي مَنَامِهِ رَأَى أَنَّ أَبَا الْهَوْلِ ، إِلٰهَ الشَّمْسِ ، جَاءَهُ يُكَلِّمُهُ كَمَا يُكَلِّمُ الأَبُ ابْنَهُ قَائِلاً : « يَا تُحْتُمْسُ ، أَنَا أَبُوكَ خِبْرَعْ ، سَأَهَبُ لَكَ مُلْكاً سَعِيداً ، وَسَأُلْبِسُكَ تَاجَ الْوَجْهَيْنِ الْقِبْلِيِّ وَالْبَحْرِي ، وَسَيَكُونُ حُكْمُكَ طَوِيلاً . فَلَا تَنْسَ أَنْ تُزِيلَ الرِّمَالَ الَّتِي تَرَاكَمَتْ حَوْلِي فَصَارَتْ تُضَايِقُنِي . »

وَمَا انْتَهَى الْحَدِيثُ حَتَّى اسْتَيْقَظَ تُحْتُمْسُ ، فَوَقَعَ نَظَرُهُ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ عَلَى الصَّخْرِ الَّذِي نَامَ فِي ظِلِّهِ ، فَقَامَ وَدَارَ حَوْلَهُ وَلَاحَظَ أَنَّهُ مَنْحُوتٌ بِشَكْلٍ خَاصٍّ ، وَرَجَّحَ أَنَّهُ جُزْءٌ مِنْ تِمْثَالٍ كَبِيرٍ مَدْفُونٍ فِي الرِّمَالِ ، وَاعْتَقَدَ أَنَّهُ لَابُدَّ أَنْ يَكُونَ هُوَ التِّمْثَالُ الَّذِي حَدَّثَهُ عَنْهُ الإِلٰهُ « الشَّمْسُ » ، فَقَرَّرَ أَنْ يُزِيلَ عَنْهُ الرِّمَالَ ، إِذَا تَحَقَّقَ مَا سَمِعَهُ فِي الْمَنَامِ .

وَصَدَقَتِ الرُّؤْيَا ، فَأَصْبَحَ تُحْتُمْسُ الرَّابِعُ مَلِكاً عَلَى مِصْرَ ، فَجَهَّزَ عَدَداً كَبِيراً مِنَ الْعُمَّالِ ، وَكَلَّفَهُمْ إِزَالَةَ الرِّمَالِ مِنْ حَوْلِ التِّمْثَالِ ، وَظَلَّ يُرَاقِبُهُمْ بِنَفْسِهِ ، يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ حَتَّى ظَهَرَ أَبُو الْهَوْلِ كُلُّهُ . ثُمَّ أَقَامَ حَوْلَهُ سُوراً مِنَ اللَّبِنِ ، لِيَمْنَعَ تَرَاكُمَ الرِّمَالِ حَوْلَهُ ، وَوَضَعَ بَيْنَ مِخْلَبَيْهِ لَوْحاً ، مُدَوَّناً عَلَيْهِ هٰذَا الْحَادِثُ بِتَفَاصِيلِهِ ، تَخْلِيداً لِهٰذِهِ الذِّكْرَى .